



حماة مدینتی رأیتها بعد ربع قرن:
من أین یاعصماء أبدأ احرفي.
ألف البداية تستحي من ياكٍ
نیرون لو شهد الواقع يومها.
لجئي أمامك خاشعا وبکاك

هكذا بدأ شاعر تدميري قصيده يرثي بها حماة وأهلها بعد أن وصلتنا الأخبار أن المدينة وأهلها قد استبيحت لمدة شهر من قبل العصابات الأسدية.

تدمير، سلب ونهب وسرقة، اغتصاب، اعتقالات، تشريد، هذا ما حل بمدینتی الجميلة، وهكذا تواردت الأخبار من المعتقلين الجدد القادمين الى تدمر، نعم أخبار يشيب لها الولدان عبر عن ذلك شاعرنا بقوله:

نیرون لو شهد الواقع يومها ... لجئي أمامك خاشعا وبکاك

لكن ليس الرائي كمن سمع، رجعت إلى حماة الحبيبة بعد سجن دام ربع قرن لأشاهد وأرى وأسمع آثار الجريمة النكاء، أحياء قد أزيلت وبني بدلا منها فنادق ومراكز للدولة: (حي الكيلانية العريق-حي الزنبقي-حي العصيدة-حي البارودية، وأحياء أخرى) أكثر من ثمانين مسجدا قد دمر، أربع كنائس، اعتقل كل رجال المدينة، قتل واستشهد ما يقارب الأربعين ألفا، مفقودون لا يعلم عنهم أهلوهم شيئا، الآلاف زاروني وسألوني عن ذويهم لكن لا جواب.

تجولت في المدينة أتحسس أخبار إخواني أصدقائي جيراني، أصدقاء الطفولة والمدرسة، لكن لم أجد إلا القليل القليل، وكلما

سألت عن أحدهم قالوا : استشهد، وهكذا..

أصدقائي في آخر عام دراسي ثالث ثانوي، كان العدد أربعين، بقي منهم أقل من عشرة، خمسة وعشرون استشهدوا، وعشرة هاجروا

ولم يبق في مدینتي إلا خمسة:
رحل الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا
كم من أخ لي صالح بوأته بيدي لحدا
أليس له أثوابه وخلفت يوم خلقت جلدا
 موقف محزن.

جلست أمام أحد المحلات التجارية وأتى أحد الجيران جلس معنا وببدأنا نتحدث وعرفت أنه لاحظ أحد أصدقائي تشجعت وسألته : (هل أخوك احمد ؟؟) وأنا لا اعلم عن أحمد شيئاً، أجابني : (نعم أخي أحمد، من أنت ؟؟)

قلت : (أنا صديقه في الدراسة) وعندما عرفته عني عرفني وذكرني، بدأ يتكلم ويبكي: أخي احمد قد أخرجه الجيش من بيتنا فاصر والدي أن يذهب معهم، وبعد أيام علمنا أن والدي واخي قد استشهدوا.

بكينا معاً، أحمد هذا لطيف مجتهد هادئ بيته قريب من المدرسة، كنا ندرس معاً في بيته عاشر وحادي عشر وبكلوريا، كنت أحبه وبيننا ذكريات وذكريات، رحمة الله تعالى ورحم أبااه ورحم الشهداء جميعا.

بدأت أسأل: أين هشام وإبراهيم وعبد الحميد وبشار ووليد، أين الأحبة والأصدقاء ؟؟

قلت في نفسي:

ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلي ولا جيرانها جيرانا

آلاف القصص سأرويها وسأكتبها، هكذا استقبلتني مدیني حزينة باكية، هكذا استقبلتني نواعيرها تبكي وتئن حزينة، وزيادة في إجرامهم تركوا بعض الآثار والبيوت مهدمة لتكون مذكرة لمن قد تسول له نفسه بالخروج عن الطاعة والانقياد لكن هذا لم يفيد.

لم تكن درسا مفزوا لأبناء مدینتي خاصة ولأهل سوريا عامة، بل كان ذلك محفزا لينطلقوا الانطلاق المباركة الجديدة التي عممت كل سوريا وقدمت آلاف الشهداء.

كتبت في ذكرى مجردة حماة الكبرى 2/2/2020

المصادر: